أصابع الحب تنزف أزهاراً

١ ـ قبل ان اهوي في حفرة النوم ، اومىء للعصافير والفراشات ووردة الرقص ان تزور احلامي .. لان هذه الحفرة تبدو لي الان نزهة تبدد تعب النهارات القاسية ، وتحلق بنا او تهبط بعيدا عن وغى الواقع المرعب .. هذا اخر ما فكرت ان افكر به ، ولكني اسجله هنا ، لان النزيف ، لايفهم الانتظاء .

٢ ـ من اعماقي ، كشجرة ، ينمو صوت ـ حشرجة ، صرخة ـ يقذف بأغصانه في كل الجهات ، ولا يزهر ، ولا يثمر .. فقط ينمو ، انه يفتش عن أشعة عينيك ، أيتها المكسوفة كشمس . أنثر في أعماقي بذار الموسيقى واغرس شتلة الاغنية .. ولا اجني سوى الرمال والظمأ ، وعواء الجوع . تلتهب اجفاني ، والنعاس شارد في حقول القلق ، والنوم يسكر مع عشيقته ، ولا من يأبه بي ..

٣ ـ الزئبق ،هل تعرفونه ، هكذا هي ، وكالغزالة تنفر ، وتدنو من الينابيع ، لا صحراء في قلبي ، انه أزقة رطبة ، وشوارع ضوضاء ، ومدن يصطرع فيها عامل ورغيف ، ولا واحة في قلبي ، انه أحياء مشبوهة ، انه زهرة بيروت التي احترقت أفنعتها بلهب الحقيقة .

٤ ـ أرسلوها مع نسيم الصباح ، فاستيقظ الحقد في اعماقي ، لا جدوى من انسانيتنا التي نلوح بها للوحوش .. لقد لطخوا ذاكرتي بقذائفهم ، كما لطخ فمي بلكمتي غباء . آه يا حبيبتي ، ان العالم يبدو قاتما .. ولا مفر من الابحار بزورق الدم . ان شجرة الكراهية النامية فينا ، تسقى بدلائهم القذرة .. والفأس التي تحطم هذه الشجرة ، يجب ان تجتث نسغ الحقد أولا ، من الجذور .

٥ ـ ثمة ما يمكنني ان ابوح به لك ايها البياض ، لكنك اجمل من ان تلطخ به . ان الايام التي تمر تدير لي وجهها المظلم . الحياة بلا شك جميلة ورائعة ولكنها لا تمنحني هذا الجمال وتلك الروعة . كيف يمكن اقتناصهما ؟ ، كيف يمكن ان نلغي من الحياة جانبها الرديء ؟، ونجتث الزؤان من قمحها الذهبي ؟

٦ ـ وكأنه حلم جميل ما كان بيننا ، أيقظتنا لحظة سيئة من غيبوبته ، آه يا جميلتي ، انه ربيع الكوابيس التي تفترس الاحلام ، الكوابيس التي تعجز العيون عن طردها ، لانها جاثمة وجذورها ممتدة في أعماق تاريخنا ، في قاع ذاكرة المجتمع الذي يتحكم بتحقيق رغباتنا الانسانية .

٧ ـ كل شيء مرسوم على الاوراق ، خرائط لا حصر لعددها ، انما حركة التاريخ تلغي كل شيء ، لانها الاقوى ولن يجدي تسرعنا وضجيجنا شيئا ، ان لم نكن مع حركة التاريخ .. يجب ان نفهم هذه الحركة ، قوتها ، مادتها ، وكيفية تحركها ، وهدف هذه الحركه العظيمة .. هذا هو البدء .

٨ ـ سواعد ترشق الصحراء بالمدائن والغابات ، وسواعد تقصف المدائن بالقذائف ، الاولى تستأصل وترمى للضواري ، والثانيه ترفع بيارق الامبريالية فوق عواصم الوطن وانهار البترول .. أما سواعدنا ، فتفجر البراكين ، وتشعل الحرائق في المدائن والغابات !

٩ ـ تلفني الكآبة ، ويمرح الجوع في دمي ، ويقطبون جباههم بوجهي ، لان جيوبي نظيفة كزرقة السماء . لكن اسمائي تبعث الرعدة في اوصالهم ، وكلماتي تمزق آذانهم ، شكلي يرعبهم كما ترعب الشمس الخفافيش . لكن ثمة ما يرسل الغبطة في أعماقي : لم أساوم على وطني ، ولم أرتزق . ففدا تشرق شمسنا ، وتذوب شموعهم ، لكننا لن نحجبها عن اجسادهم الهزيلة . ثورة شعبي قادمة على صهوة البرق ، لكنها لن تكون امتيازا نتاجر به .

١٠ ـ يا مدينتي .. قلبي بين يديك تفاحة حامضة ، اقضميها ، وتذوقي مرارة هجرك القاتل . انتفخت شفتاي بجراح لكمات ساعد الحقد ، شبح اللاهوت المتبعثر في أذهان الجهلاء .. بينما كانتا تمطران جسدا ظامئا بالقبلات .. لقد حملت فمي كيسوع وبصقته في وجه السماء .. فتشكل القمر .

١١ ـ بذاكرة واضحة كينبوع جذره بعيد في رحم الارض ، وشفتاه في خد صخره . بعينين ترسل اهدابهما أشعة الشمس في أزقة الظلام ، بروح رشيقة كنسيم البراري ، بدم منتشر على صليب الارض ، وفم بحجم قلب الام المجرح بالكدمات ، أبتسم ابتسامة واسعة لهؤلاء البشر المزهوين بقاماتهم المنطوية على ابشع الجرائم ، يملأون الشوارع كعرباتهم تماما .. وهذه المرأة ، غزالة في شباك صياد ، أعيدوا لها مفتاح اسرارها الذي تسلموها اياه منذ ان تغادر الرحم ، لتسلموه الى من يحملها عن اكتافكم ، الى البعل القادم كالحمار ، يدفع ثمنها ، ويربط عنقها مع عنقه الى علف فرضه عليهما أول قانون سنه العالم القديم .

للمرأة أمطار ورياح وغابات وأنهار ، للمرأة شمس وقمر .. ولها افراح بحجم الكون ، اطلقوها تملأ العالم بأسرارها .

١٢ ـ في قلب التاريخ تبرعم الفجر ، ودماء الاعوام انتفضت أنهارا تجري في شريان الوطن . وعلى أرصفه البنادق ينق ضفدع : ايها المقاتل . احن قامتك قليلا ، علّني ارى جبينك قبل ان افقع ؟!. ولانه فقع على صفحات نشرة تعيسة ، صار بهلوسته يختصر حركة التاريخ بسخبه حشيشه ، مفاخرا بأنه يقدر ان يقذفك بشتائمه دون ان ينزعج جلساؤه من رائحة فمه الكريهه . وهكذا صرنا لا نفرق بين بعض كتبة صحف « المعارضة » وتقارير العسس !.

١٣ ـ تساءلت اصابع الكؤوس عن اصابعي ، هكذا ادعت جثة سكير ، بينما هتفت أصابع جثة مفتوحة كأنها تحتج على الكون : أين فرت الاقلام والاوراق ، لاسجل مشاعري والمدى تتنزه داخل جسدي ؟.. هذه لغة الاصابع ، يفهمها قلب الحجر الذي بتر اصابعه احتجاجا .

١٤ ـ ايتها المنتحبة بين الكتب والاوراق التي خلفتها ضمن دروجي . أيتها المالحة كالبحر ، أجلي الدموع فالبكاء مقبل زمانه على صهوة القتل ، يوم يكتبون عني وجدانية او اكثر ، ويلصقون صوري على أشجار السنديان . كم هما شرستان عيناي اذ تحدقان بظل قلبك الذي يقطر دما !.

●●●

استحم دمي بأشعة الرصاص ، وتيممت برماد الجثث ، والضفادع أضحت على حافة الانفجار ، من هذه المدينة أهتف باسمك أيتها الحبيبة الشمس ، أن لا تتأخري أكثر ، اقد تفسخت ركائز الليل والفساد يقرض نسغ بقائه !